وَسَائِلُ التَّخْصِيص فِي نَصِّ الزِّيَارَةِ الجَامِعَةِ الكَبِيرَةِ

أ.م.د. عَدَوِيَّة عَبْدُ الجَبَّارِ الشَّرَعِ الباحثة. عَبِير فَاضِل عَبْد السَّادَة
جَامِعَةُ بَابِل/ كُلِيَّة الدِرَاسَات القُرآنِيَة

Specifications in the Great Collective Invocation

Asst. Prof. Dr. Adawiya Abdul Jabar Al-Shai'e
Researcher. Abeer Fadhil Abdul Sada
College of Studies of Quran/ University of Babylon
hayder_s88@yahoo.com

Abstract

Specification indicates the exceptionality of the person. The house hold of the prophet (peace be upon them) are distinguished with their exceptionality which appears in the text of the invocation. The specification in the text of the great invocation is expressed by some grammatical and linguistic device.

الملخص

إنَّ التخصيص يدلُّ على اصْطِفَاءِ الشَّخصِ، وإفراده بشيءٍ من دونِ غيره، وحصر صفة أو ميزة يَنمازُ بها عن غيره، وبما أَنَّ أهلَ البيتِ (عليهم السلام) مُخْتَصَّونَ بميزات وخصائص انفردوا بها عن غيرهم، كان لموضوعِ التَّخصيصِ حضورٌ بارزٌ في نصِّ الزيارةِ، إذ توضَّح من خلالِه اختصاصهم بأُمور عدة من دون غيرهم أَهَّلَتهُم لتلكَ المنزلةِ الجليلةِ، فجاءَ تخصيصهم بوسائلَ لُغويَّةٍ متنوعةٍ منها المَفاعِيل، والنِّداء، والاستثناء والقصر، وأُسلوب الاختصاص، والتَّقديم والتَّأخير، ومن هذا وذاكَ تمَّ تخصيصهم(عليهم السلام) بخصائص عدَّة.

الكلمات المفتاحية: التَّخصيص، الاختصاص، أهل البيت، التقديم والتأخير، قصر.

المقدمة

اقتضت طبيعةُ الموضوع أنْ يكون مُقّسَّم على مطلبين، تضمَّن المطلب الأول وقفة تعريفيَّة لموضوعِ الاختصاصِ في اللُّغةِ والاصطلاحِ، أمَّا المطلب الثاني فقد تضمَّن وسائل التخصيص في نصِّ الزيارة الجامعة، وانقسم هذا المطلب على خمسةِ نقاط قَسَّمْنَا عليها وسائل التخصيص، هي: التخصيص عن طريق التقديم والتأخير، التخصيص بالنداء، التخصيص بالمفاعيل، التخصيص بالاستثناء والقصر، التخصيص بأُسلوب الاختصاص.

أمَّا المصادرُ التي أفَدْنَا منها في كتابةِ الموضوعِ فقد كانت مُتنوِّعَة تمثَّلَتْ بكتبِ الصوتِ والصرفِ والنحوِ والدّلالة، فضلاً على كُتبِ المعاجمِ، والشُّروحِ.

وقد اعتمدنَا كتابَ (مَنْ لا يَحْضَرُهُ الفَقِيه) للشَّيخِ الصَّدوق (رَحِمَهُ الله) في توثيقِ الزِّيارَة الجامعة؛ لكونه الكتاب الأَقدم والأَول من بينِ المصادرِ التي نَقَلَتهُ.

والحمدُ للهِ كثيراً على أنْ وفَّقنا لإتمام هذا البحث الذي نرجُو أنْ يكون في رصيدِ أعمالِنَا التي تُزْلِفُنَا إلى الله – تعالى–، وهو حَسبُنَا ونِعْمَ الوكيل في المَبْدَأ والمَآلِ.

المَطْلَبُ الأَوَّل: مَعنَى التَّخصِيص في اللُّغَةِ والإصطِلَاحِ

إنَّ من البَدَهِي أنْ يكون لهذا الموضوع حضورٌ في كلام الإمام – بشكل متنوع– لا سيَّما فيما يتعلَّق بتخصيصِ أهل البيت(عليهم السلام) بخصائص وفضائل من دون غيرهم وتمييزهم بها، فإذا عدنا إلى المعنى اللغوي للاختصاص وجدناه قد أُخِذَ من الفعل (خصَّ) الدال عَلَى الْفُرْجَةِ وَالثُّلْمَةِ، ومنه يقال: خَصَصْتُ فُلَانًا بِشَيْءٍ خَصُوصِيَّةً، إِذَا أُفْرِدَ وَاحِدٌ فَقَدْ أَوْقَعَ فُرْجَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ[1]،

([1]) ينظر: مقاييس اللغة: 153/2، (خَصَّ)

والتخصيص حصر شيء ما للنفس على وجه الخصوص، فيقال (خَصَّصْتُ الشيءَ، وأَخْصَصْتُه... والخاصّة: الَّذِي اختصصتَه لنَفسك... ويقال: تخصَّص فلَان بِالْأَمر واختصّ بِهِ، إذا انْفَرد بِهِ، وخَصَّ غيرَه واختصّه ببرِّه)[1]، والاختصاص هو التفرد بشيء والاصطفاء والاختيار والانفراد بالشيء[2]، فالتخصيص قصر شيء على شيء على وجه التفرد، والتخصيص مأثور في الكلام العربي، وهو من عادة العرب، فهي تعمد في كلامها إلى أنّها تعمم ثم تُفرِد للاختصاص والتفضيل[3]، وقد أوضح العسكري معنى الاختصاص بشكله العام((إنَّ الاختصاص انفرادُ بعض الأَشياء بمعنى دون غيره، كالانفراد بالعلم والمُلك، والانفراد تصحيحُ النفس وغير النفس، وليس كذلك الاختصاص؛ لأنَّه نقيض الاشتراك، والانفراد نقيض الازدواج، والخاصة تحتمل الاضافة وغير الإضافة؛ لأنَّها نقيض العامة فلا يكون الاختصاص إلَّا على الاضافة؛ لأنَّه اختصاص بكذا دون كذا))[4]، فالمختصُّ مُنْفَرِدٌ بحكمٍ من دون غيره، وتكون له بذلك الأفضلية على غيره، وعُرِفَ في النحو على أنه ((قصر الحُكْمِ على بعضِ أَفرادِ المذكور))[5]، فمن نَخُصُّهُ بشيءٍ، ونقصر عليه أمراً لابُدَّ وأنَّ في ذلك تفضيلاً له، وتمييزاً عن غيره بتلك التخصيصات.

المَطلَبُ الثَّانِي: وَسَائِلُ التَّخْصِيص

يَعُدُّ الدكتور تمام حسَّان التخصيص علاقة سياقية كُبرى، أو قرينة معنوية كبرى تتفرع عنها قرائن معنوية أخَصّ منها، وإنَّ هذه القرائن الخاصة كلها تجتمع في قرينة معنوية كبرى أعمّ منها تشملها جميعًا وتسمَّى قرينة التخصيص[6]، ولأنَّ الزيارة الجامعة كانت محط تخصيص أهل البيت(عليهم السلام) بخصائص مميزة لهم من دون غيرهم آثرنا دراسة هذا الموضوع، وورد هذا التخصيص في نص الزيارة بطرق متنوعة، هي: –

أولاً: التخصيص عن طريق التَّقديمِ والتَّأخيرِ: وحصل هذا النوع في نصِّ الزيارة الجامعة بتقديمِ الجارِّ والمجرورِ[7]، الذي كَثر تقديمه في النص، ولكثرته في الكلام العربي قيل إنَّ أَهْلُ الْبَيَانِ كادوا يُطْبِقُونَ عَلَى أَنَّ تَقْدِيمَ الْمَعْمُولِ يُفِيدُ الْحَصْرَ سَوَاءٌ كَانَ مَفْعُولًا أَوْ ظَرْفًا أَوْ مَجْرُورًا[8]، فالمقدم من المعمول (الجار والمجرور) يُراد به تخصيص أمر في شيء، ونجد هذا التخصيص في كلام الإمام بكثرة، ومنها قوله (عليه السلام):((إِلى اللهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ، وَلَهُ تُسَلِّمُونَ، وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ، وَإِلى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ، وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ))[9] ففي هذه الفقرات توضيح وتبيين اختصاص أهل البيت (عليهم السلام) بتوجههم إلى الله – تعالى– في جميع أُمورهم، ودعواتهم وإرشادهم وتسليمهم إليه، وإيمانهم وعملهم بأمره في جميع شؤونهم من دون غفلة، ولا سهو فيما اختصوا فيه؛ ولذا رتَّبَ على ذلك سعادةَ مُتَّبِعُهم وهلاكَ مُخَالِفُهم بقوله (سَعَدَ مَنْ والاكم وهَلَكَ مَنْ عاداكم وخاب مَنْ جحدكم)؛لأَنَّ مَنْ كان مختصاً بتلك الاختصاصات لابُدَّ وأنْ يكون لديه تلك الأفضلية بسعادة المتبع له وهلاك المخالف له[10]، فقدم الجار والمجرور، إذ قال (إلى الله تدعون)، ولم يقل(تدعون الى الله)، وقال(وله تسلمون)، ولم يقل(وتسلمون له)، كما قال(وبأمره تعملون)، ولم يقل (وتعملون بأمره)، وقال (وإلى سبيله ترشدون) ولم يقل (وترشدون إلى سبيله) وقال (وبقوله تحكمون) ولم يقل (وتحكمون بأمره)، إذ قدم الجار والمجرور فيها، وفي تقديم الجار والمجرور هنا ((إشارة إلى إنَّهم لم يدعوا ولن يدعوا إلاَّ إلى الله))[11]، فدعوتهم خالصة له – تعالى– دون غيره، وقال (عليه تدلون) ولم يقل (تدلون عليه) ويتضح أيضاً الحصر في دلالتهم على الله – تعالى– في كل حال من

(1) تهذيب اللغة: 292/6، (خصَّ)
(2) ينظر: المعجم الوسيط: 238/1، (خصَّ)
(3) ينظر: فقه اللغة وسر العربية: 223
(4) الفروق اللغوية: 27
(5) حاشية الصبان: 3/ 274، معجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد سمير نجيب، 74
(6) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، 194-195
(7) ينظر: البرهان في علوم القران:236/3
(8) ينظر: الاتقان: 174/3
(9) من لا يحضره الفقيه:388/2
(10) ينظر: في رحاب الزيارة الجامعة: 406
(11) الشموس الطالعة: 492

أحوالهم، لا يدلون على غير الله (عزَّ وجلَّ) بل يدلون عليه أو على ما يدل عليه[1]، وقوله (وله تسلمون وبأمره تعملون) أي: وله من دون غيره تسلمون وتفوضون أمركم، وبأمره تعالى تعملون لا بأمركم أو إرادتكم؛ بل ليس لكم أمر أو إرادة إلاَّ أمره وإرادته[2]، وقوله (وإلى سبيله تُرْشِدُون وبقوله تحكمون) أي: وإلى دين الله تعالى وصراطه المستقيم ترشدون الخلق بأفضل هداية لا إلى دين غيره، فهو المختص بإرشادكم لا غيره، ثم انكم بقوله تعالى وبالاستناد اليه فقط دون غيره تحكمون بين الناس لا بالآراء الأُخرى لغيره بل بحكمه وبقوله مستندين إليه فقط[3].

وقال(عليه السلام): ((بكم يُسْلَكُ الى الرضوان وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن))[4] فقدم (بكم) على (يسلك الى الرضوان بكم)، فمن هذا التقديم يُفْهَمُ حصر الأمر بهم، فبهم دون غيرهم يُسْلَكُ إلى الرِّضوان الذي عُدَّ من أعظم الدرجات[5]، وتحقَّقَ التخصيص عن طريقِ تقديم الجارِّ والمجرور في قوله(على من جَحَدَ ولايتكم غَضَبُ الرحمن)، فقدم (على من جَحَدَ ولايتكم)على(غَضَبُ الرحمن) فلم يقل(غَضَبَ الرَّحمن على من جَحَدَ ولايتكم)؛ لأنَّه يريد تخصيص الشخص المستحق لغضب الله تعالى، وللتأكيد على أهمية الموضوع؛ إذ إنَّ جحد ولايتهم (عليهم السلام) أمر يستحق تقديمه على غضب وسخط الرحمن؛ لأنه يُولِّد بسببه، فكن لا بُدَّ من تقديم السبب على النتيجة.

كما نجد التخصيص في قوله (عليه السلام):((السَّلامُ عَلَى الدُّعَاةِ إلى اللهِ، وَالأَدِلاَّءِ عَلى مَرْضَاةِ اللهِ... وَعِبَادِهِ المُكْرَمِينَ، الَّذِينَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ، وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُون))[6]، فقد قال(وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)[7]، ومن المؤكد أنَّ وراء استحضار الإمام(عليه السلام) هذا القول غاية يرمي إبلاغها. وفي قوله – تعالى– المُقْتَبَسُ منه قول الإمام (عليه السلام) ذكر الزمخشري أنَّ((هذا الكلام المعترض تعَمُّد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم))[8]، فبما إنَ النص في مَعرِضِ الحديث عن عصمة الأَنبياء وعدم مخالفتهم لأمر الله – تعالى–، اقتبس الامام قوله من هذا القول ليثبت عصمة أهل البيت (عليهم السلام) والاشارة إلى أنَّ أمرهم مرتبط بأمر الله من دون غيره، وفي هذا ردٌ قاطعٌ على المُغَالين[9] في أهل البيت(عليهم السلام) بأنهم عباد الله لا شركاؤه، وهم لا يسبقونه بأي شيء، بل بأمره يعملون فاستحضار النص لأجل الدلالة على عصمتهم بنفس النص الذي سيق في القرآن، وكذلك اثبات توحيد أهل البيت لله – تعالى– وعدم سبق فعلهم لفعله –عز وجل– بل هم عباده وتحت أمره وقبضته، كما كان دليلاً على عصمتهم.

وبنظرةٍ دقيقةٍ إلى المواضع التي السابقة التي سيقت لأجل دلالة الاختصاص يلاحظ أنَّ دلالة العناية والاهتمام تعضدها وتلازمها، فالإمام الهادي(عليه السلام) فعندما يقول:((إلى اللهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ، وَلَهُ تُسَلِّمُونَ، وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ، وَإلى سَبيلِهِ تُرْشِدُونَ، وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ))[10]، ويقول ((بكم يُسْلَكُ الى الرضوان وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن))[11]، ويقول((الْمُخْلِصينَ في تَوْحيدِ اللهِ، وَالْمُظْهِرِينَ لأَمرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، وَعِبادِهِ الْمُكْرَمينَ الَّذينَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ))[12] ليس الغرض الوحيد من هذا التقديم الاختصاص فقط، وإلا فما الجديد الذي قد يُوحِيه النص حين انضَوَى على أمر معلوم ومعروف، ويُعَدُّ من البديهيات؟ فأهل البيت (عليهم السلام) يدعون إلى الله – تعالى– وليس إلى غيره، ويدلون عليه وليس على غيره، وبه يؤمنون ولا

(1) ينظر شرح الزيارة الجامعة: 2 / 190- 194
(2) ينظر: الانوار اللامعة: 148
(3) ينظر: في رحاب الزيارة الجامعة: 408
(4) من لا يحضره الفقيه: 2 / 390
(5) ينظر الانوار اللامعة: 187
(6) من لا يحضره الفقيه: 386/2
(7) قوله (عليه السلام) اقتباس من قوله تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (*) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)[الأنبياء:26-27]
(8) الكشاف:727/2
(9) الغُلاة جماعة من المنحرفين الذين ادَّعوا لأنفسهم النبوة، وللائمة (عليهم السلام) الإلوهية، وأباحوا فعل المحرمات، فوقف الامام الهادي (عليه السلام) موقفاً شديداً ضدهم، وكذَّب أباطيلهم، ونَبَّهَ الشيعة على الاحتراز منهم وعدم تصديقهم، ومن هؤلاء الغُلاة: علي بن حسكة القمي، والقاسم اليقطيني، والحسن بن محمد بن بابا القمي، ومحمد بن نصير) ينظر: رجال الكشّي: 430- 434، حياة الامام الهادي (عليه السلام)، باقر شريف القرشي، 394-401.
(10) من لا يحضره الفقيه:388/2
(11) المصدر السابق: 2 / 390
(12) من لا يحضره الفقيه: 386/2

يؤمنون بغيره، كما يسلِّمون له ولا يسلِّمون لغيره، وبأمره يعملون لا بأمر غيره، وكذلك يحكمون بقوله لا بقول أحدٍ غيره، كذلك بهم يُسلَك إلى الجنان، وبجحد ولا يتهم يُصَبُّ غَضَبُ الرحمن، هذه كلها من الأُمور المعروفة التي باتَتْ من خصائص وسمات أهل البيت(عليهم السلام) المُميزة لهم، وليست بالخافية على أحد؛ لذا فإنَّ التقديم الذي انضوت عليه هذه الجمل يتعاضد معها معنى العناية والاهتمام بذلك المقدم، لتُصرَفَ نحوه الهِمَمَ، وتهتم وتعتني به النفوس وتتفكَّر به، حتى لا تغفل عن تلك الحقيقة سواء كانت على وجه الترغيب أم الترهيب.

ثانياً / التخصيص بالنداء: النداء صورة من صور التخصيص. وهو تنبيهُ المَدعُو ليُقبِل عليك[1]، وحروفه متعددة وهي: (يا)، و(أيا)، و(هيا) لنداء البعيد أو من هو بمنزلته من نائم أو ساهٍ، و (أي) و(الهمزة) للقريب، و(وا) للندبة خاصة[2]، والمنادى على ثَلَاثَة أضْرب: الضرب الأول (مُفْرد) وهو على قسمين: الأول (معرفَة) و يبنى على الضم فيها، والثاني (نكرة) منصوبة، والضرب الثاني (مضاف) وَيكون مَنْصُوبا، والثالث (شبيه بالمضاف)، إذ يعمل الرفع والنصب فيما بعده[3]، وفي نداء الشخص المطلوب تخصيص لشخصه من دون غيره، وفي ذلك قال ابن يعيش: ((إعلم أنَّ كلَّ منادى مختصٌّ، تختصُّه فتُناديه من بينِ مَن بحَضْرتك لأمْرك، ونَهْيك، أو خبرِك. ومعنَى اختصاصك إياه أن تقصِده، وتختصّه بذلك دونَ غيره. وقد أجرتِ العرب أشياءَ اختصّوها على طريقة النداء لاشتراكهما في الاختصاص، فاسْتعير لفظُ أحدهما للآخر من حيث شارَكَه في الاختصاص، كما أجروا التسْويةَ مُجْرَى الاستفهام، إذ كانت التسوية موجودةً في الاستفهام))[4]، وورد النداء الذي خصَّ به أشخاصاً بعينهم في نص الزيارة الجامعة وذلك في قول الامام (عليه السلام): ((السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة))[5]، فتوصل إلى النداء بـ(يا)، وورد المنادى (أهلَ البيت) مضافاً فكان حكمه النصب، فـ(أهل) منادى منصوب، وهو مضاف (البيت) مضاف اليه، وخصص بهذا النداء سلامه وقيَّده بأهل البيت (عليهم السلام) من دون غيرهم فهم المختصون والمعنيون بسلامه. فضلاً على ما ينضوي هذا النداء من التشريف والتكريم كما عُهِد في القرآن الكريم نداء الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) بوصفه، والرسل (عليهم السلام) بأسمائهم، تشريفاً وتكريماً[6]، فعندما نادى أهل البيت (عليهم السلام) بصفتهم كان في ذلك علاوة على الاختصاص تشريفٌ وتكريمٌ لهم.

ثالثاً / التخصيص بالمفاعيل: تم التوصّل إلى التخصيص في نص الزيارة بالمفاعيل، ومنها:-

1- المفعول له: وهو المصدر الذي انتصب؛ لأنَّه علة وعُذْرٌ لوقوع الأمر، ويكون تفسيراً لما قبلَه لِمَ كان ؟ أو لِمَ فَعَلتَ كذا؛ لأنَّه بمثابة علة الإقدام على الفعل[7]، فبما تضمَّنه المفعول له من معنى يتم تقييد الفعل ومَعْنَاهُ ((التَّصْرِيحُ بِالْعِلَّةِ الَّتِي لِأَجْلِهَا وَقَعَ الْفِعْلُ، نَحْوَ ضَرَبْتُهُ تَأْدِيبًا، فَيُفِيدُ تَخْصِيصَ ذَلِكَ الْفِعْلِ بِتِلْكَ الْعِلَّةِ))[8]، فعندما تقول مثلاً: أتيت رغبةً في لقائك، فإنَّك بذلك تكون قد أسندت الإتيان إلى نفسك مقيدًا بسبب خاصٍّ وهو قيد الغائية والتي تكون قرينة معنوية دالة على المفعول لأجله ومقيدة للإسناد الذي لولاها لكان أعمّ، فهو من دون سبب أعم منه وهو مسبب، وتكون دالة على جهةٍ فهم الحدث الذي يشير إليه الفعل[9]، ومثال التخصيص بالمفعول له في كلام الإمام الهادي (عليه السلام): ((وجعل صلواتنا عليكم وما خصنا به من ولايتكم طيبا لخَلْقِنَا، وطهارة لأنفسنا وتزكية لنا وكفارة لذنوبنا))[10]، إذ قال:(طيباً، طهارةً، تزكيةً، كفارةً) مُقيِّداً بها الإسناد الذي لولاها لأصبح عامَّاً لا تقييد فيه، فقيَّد الطِيْبَ للخلق، والطهارة للأنفس، والكفَّارة للذنوب.

(1) ينظر: الاصول:329/1
(2) ينظر: المفصل في صنعة الاعراب: 413
(3) ينظر: اللمع: 106-107
(4) شرح المفصل، 1/ 369
(5) من لا يحضره الفقيه: 386/2
(6) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيمة: 599/3
(7) ينظر الكتاب:367/1، المفصل:87
(8) إرشاد الفحول: الشوكاني، 382/1
(9) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: 195 -196
(10) من لا يحضره الفقيه: 388/2

2- المفعول المطلق: هو الاسم الدال على حدث وزمان مَجْهُول، وَهُوَ وَفعله من لفظ وَاحِد، ويأتي مَعَ فعله لتوكيد الْفِعْل، وَبَيَان النَّوْع، وَعدد مرات حدوث الفعل[1]، والقرينة الدالة عليه قرينة معنوية تمسى (التحديد والتوكيد)، وهي كما قال الدكتور تمام حسان ((هي القرينة المعنوية الدالة على المفعول المطلق، والمقصود بالتحديد والتوكيد: تعزيز المعنى الذي يفيده الحدث في الفعل، وذلك بإيراد المصدر المشترك مع الفعل في مادته؛ لأنَّ المصدر هو اسم الحدث، ففي إيراده بعد الفعل تعزيز لعنصر الحدث ومعنى الفعل، وتكون التقوية بواسطة ذكره مفردًا منونًا على سبيل التأكيد، أو مضافًا لمعين لإفادة النوع، أو موصوفًا لإفادة النوع أيضًا، أو مميزًا لعدد فيكون العدد نفسه مفعولًا مطلقًا... والذي يهمنا من كل ذلك هو أن التقوية بالتأكيد أو التحديد قرينة معنوية على معنى المفعول المطلق))[2]، وورد التخصيص في نص الزيارة بالمفعول المطلق المؤكد لفعله في قوله (عليه السلام):((آمنكم من الفتن وطهركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس، وطَهَّركم تطهيراً))[3]، فقال:(طهَّركم تطهيراً)، واُشتق(تطهيراً) من لفظ الفعل(طهّركم)، وورد ((مفعولاً مطلقاً لقوله (يطهِّركم) وتأكيداً له من دون أنْ يكون للنوع المفيد اختصاصه لنوع دون نوع، ولا للمرة المفيدة للتطهير وقتاً من دون وقت، بل تأكيد لما أفاده بقوله (يطهِّركم) من التطهير المطلق من حيث الأنواع والأوقات في كل مرتبة من مراتبهم الذاتية ومقاماتهم الأصلية))[4]، فالتطهير حدث مطلق لم يقيد بزمن دون آخر أو نوع دون آخر.

أما المصدر المُبَيِّنُ للنوعِ فقد تمَّ التخصيصُ به لبيان وتخصيص نوع معين وتمييزه، وذلك في قوله (عليه السلام): ((صلَّى الله على محمد وآله الطاهرين وسَلَّم تَسلِيماً كَثِيراً))[5]، فقال:(سَلَّمَ تسليماً كثيراً)، فـ(تسليماً) مصدر على زنة (تَفْعِيْل) جِيءَ به لتوكيد حدث التسليم المطلق المجرد، ثمَّ وُصِفَ ذلك التسليم وهو المصدر بـ(كثيراً) لغرض وفائدة بيان نوع ذلك التسليم وتحديده بذلك النوع، فقد يتبادر إلى الذهن تساؤل عن صفة ذلك التسليم في حال لم يذكر في الكلام، ومجيئه قد بيَّن ذلك وهذه فائدته؛ لذلك جاء المصدر لبيان التأكيد على الصلاة والسلام عليه (صلى الله عليه وآله) ظاهرا بأَنْ يكثروا الصلاة والسلام عليه[6]، فتم تخصيصه وتقييده بـ(كثيراً)، وليس بشيء آخر فَلَوَّحَ هذا اللفظ بهذا الأمر.

رابعًا / التخصيص بالاستثناء والقصر: والاستثناء يعني ((أَنْ تُخرِجَ شَيْئًا مِمَّا أدخلت فِيهِ غَيره أَو تدخله فِيمَا أخرجت مِنْهُ غَيره. وهذا الإدخال أو الإخراج للشيء إنَّما هو تخصيص وتمييز له عن غيره. وحرفه المستولي عَلَيْهِ (إِلَّا)، وتشبه بِهِ أَسمَاء وأفعال وحروف فالأسماء (غير، وَسوى) وَالْأَفْعَال (لَيْسَ، لَا يكون، عدا، خلا، وحاشا)، والحروف (حاشا، وخلا)))[7]، أو هو ((إخراج بعضٍ من كل بمعنى (إلاَّ) نحو: جاءني القوم إلا زيدًا))[8]، وهذا البعض الذي يخرج من الكل يكون مخصصا، ويُعَدُّ الاستثناء عند الأُصوليين((إحدى القرائن اللفظية التي يتم بها تخصيص العموم، أي إخراج بعض أَفراد اللفظ العام من الدلالة التركيبية))[9]، وقد تكون هناك ادوات اخرى يتم التوصل بها إلى الاستثناء، مثل (لَمَّا)، فيتم التخصيص بها، إذ تأتي في بعض صورها للاستثناء وتكون بمعنى (إلاَّ)، وتأتي بعد القسم، أو بعد النفي[10]، والمورد الذي ورد فيه لما في نص الزيارة كان بعد القسم، كما في قوله (عليه السلام): ((فبحق من ائتمنكم على سره واسترعاكم أَمر خلقه وقرن طاعتكم بطاعته لما استوهبتم ذنوبي))[11]، فبدأ كلامه بالقسم، والباء دالة عليه، أي: اقسم عليكم بحق الله، الذي جعل طاعتكم طاعته واسترعاكم أمر خلقه إلاَّ ما استوهبتم ذنوبي عند الله وشفعتم لي بغفرانها.

(1) ينظر: اللمع، 48
(2) اللغة العربية معناها ومبناها، 198
(3) من لا يحضره الفقيه: 387/2
(4) طهارة أهل البيت (عليهم السلام) في آية التطهير: ميرزا محمد باقر الحائري: 214
(5) من لا يحضره الفقيه: 391/2
(6) ينظر: الانوار الساطعة: 249-250
(7) اللمع: 66
(8) أسرار العربية: 156
(9) دلالة تركيب الجمل عند الاصوليين، د. موسى العبيدان: 176
(10) ينظر: الجنى الداني: 592، الكليات:791
(11) من لا يحضره الفقيه: 391/2

ويُخَصَّصُ بالقصر، بتقديم الخبر على المبتدأ لأجل القصر، الدال على تَخْصِيصُ أَمْرٍ بِآخَرَ بِطَرِيقٍ مَخْصُوصٍ، أو إِثْبَاتُ الْحُكْمِ لِلْمَذْكُورِ وَنَفْيُهُ عَمَّا عَدَاهُ، وَيُقسَمُ على قسمين: الأول: قَصْرِ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ قصرا حقيقيا، نَحْوُ (مَا زَيْدٌ إِلَّا كَاتِبٌ)، ومجازياً، نحو قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ)[آل عمران: 144]، والثاني: قَصْرِ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ قصرا حقيقيا، نحو قوله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)[محمد: 19]، ومجازيا، نحو قوله تعالى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً)[الأنعام: 145][1]، ورد في نص الزيارة الجامعة تخصيص بقصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً، إذ قال: ((أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له))[2]، قاصرا صفة الالوهية ومخصصها في الذات الالهية المقدسة قصرا حقيقيا من دون شريك.

خامساً / التخصيص بأُسلوب الاختصاص: هو أُسلوبٌ نحويٌ، أفرد له النحاة باباً خاصًا أسموه المنصوب على الاختصاص[3]، وعرَّفوه على أنَّه: ((قصر حكم اسند لضمير متكلم أو مخاطب على اسم ظاهر معرفة يذكر بعده معمول لـ(أخص) محذوفا وجوبا))[4]، وهو على هيئة نداء لفظا لأجل التوسع إلاَّ أنَّه ليس بنداء، ومبعثه الفخر او التواضع او زيادة بيان[5] ويفترق عن النداء باستغنائه عن الاداة، ولا يأتي في بداية الكلام كما يأتي النداء بل يأتي في اثنائه، ويكون معرفا بـ(أل)، وعدم وصف (أيا) باسم الاشارة، وان يكون المقدم عليه اسما بمعناه، ويقل ان يكون علما وينصب مع انه مفرداً [6]، والاسماء التي يكثر دخولها في هذا الأُسلوب هي (بنو فلان، معشَر، أهل البيت، آل فلان)[7]، وورد هذا في نص الزيارة بلفظ (أهل البيت) في قول الامام في بيان طهارة منزلة أهل البيت (عليهم السلام): ((آمنكم من الفتن وطهركم من الدنس واذهب عنكم الرجس اهل البيت وطهَّركم تطهيراً))[8]، إذ قال (أهلَ البيت)، ولمْ تأت هذه اللفظة في بداية الكلام بل جاءت في أثنائه، ولم يستعمل فيها اداة نداء، وورد (أهلَ) منصوباً على الاختصاص، أي اختصكم أهلَ البيت، أنتم من دون غيركم، ففي ذكرها ارتفاع العموم وتفرد الخصوص وهم (أهل البيت) بتأمينهم من الفتن وتطهيرهم من الدنس، وإذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم على وجه الخصوص والانفراد.

بعد أنْ أنهينا البحث في هذا الموضوع، توصلنا الى النتائج الآتية:

1- بُروز مَوضُوع التَّخصِيص الذي تَنَاسَبَ مَفهُومه مَع تَخصِيص أهلِ البَيْتِ (عليهم السلام) بخصائِصَ وسِمَاتٍ ميَّزتهم عن غيرهم.

2- كثرة أُسلوب التعليل والسَّبب في نصِّ الزيارة الجامعة، إذ قدَّم الإمام الهادي(عليه السلام) أحكاماً عَقَدَ وجودها إلى أسباب، ومن أبرز مَن تمثل بتلك السببية هم أهل البيت (عليهم السلام)، فكان التعليل والسبب قد هيمن على إبراز سببيتهم في الخلق، فوظَّف الإمام هذا الأُسلوب بحكمةٍ ودرايةٍ ليوضح سببيتهم لأجل التأثير في النفوس، فالنفس أكثر تقبلاً للأحكامِ المُعلَّلة من الأَحكام غيرِ المُعلَّلةِ وغير واضحة العلة والسبب فيها، فلو قدَّمها بأُسلوبٍ غير هذا الأُسلوب قد تُفَوَّتُ فرصة تقبُّلِ الحُكم، وهكذا فالإمام يستثمر اللغة لما يقرِّبُ غايته وقصده، فاختار أساليب تكشف النِّقاب عن غايته الجليلة وهي التأثير في المُتَلَقي وإرشاده.

3- احتجَّ الامام (عليه السلام) بسببيَّةِ أهلِ البيت (عليهم السلام) عن طريقِ سَوْقِ كلامه على أُسلوبٍ حِجَاجِي، باستعماله الكلام المُعلَّل الذي يتميَّز بكونه وسيلة احتجاجية، لا سيَّما عندما يُعلَّل بالمفعول له أو ما يسمى بكلمة السبب التي تُبنَى عليها الحجج؛ لأنَّه لا يُستعمل إلاَّ تبريراً أو تعليلاً للفعل؛ لذا عمد الإمام إلى هذا الأُسلوب الاحتجاجي لإقناع المتلقي، فيحاججه ويقنعه بسببية أهل البيت(عليهم السلام) بأُمور اختارها الله –عز وجل–.

(1) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: 166/3
(2) من لا يحضره الفقيه: 391/2.
(3) ينظر: شرح ابيات سيبويه: 36/2، المفصل في صنعة الإعراب:69، شرح الكافية الشافية:3/ 1374، توضيح المقاصد: 1150/3.
(4) اللباب في قواعد الاعراب، 130
(5) ينظر: شرح المفصل: 1/ 369، شرح الكافية الشافية: 3/ 1374 شرح الأشموني: 81/3، توضيح المقاصد: 1150/3.
(6) ينظر: توضيح المقاصد: 1152/3، شرح الاشموني: 81/3.
(7) ينظر: الكتاب: 236/2.
(8) من لا يحضره الفقيه: 387/2.

4- بما إنَّ التعليل قائم في أساسه على سؤال، وبالتالي تتم الإجابة، فهذا يعني إنَّ كلام الامام (عليه السلام) المُعَلَّل يُمثِّل إجابات لأسئلة خصَّت سببية أهل البيت، فكل تعليل يمثل بحد ذاته ردٌ وجواب.

5- لم تَرِدْ جميع مواضع التخصيص في نص الزيارة في تخصيص أهل البيت (عليهم السلام) بصفاتٍ انفردوا بها، إنَّما وردت في مواضع لتُفْرِد صفات في غيرهم، كتخصيص الإلوهية في الذات المقدَّسة لله – تعالى- وقصرها عليها من دون غيرها.

المصادر

القرآن الكريم

1- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1394هـ- 1974م.

2- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشِّي)، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تح، جواد الاصفهاني، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، 1427هـ

3- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، تحقيق، الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق – كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1419هـ- 1999م

4- أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت: 577هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، 1420هـ- 1999م.

5- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت: 316هـ) تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

6 – الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، الشيخ جواد عباس الكربلائي، مراجعة، محسن الأسدي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الاولى، 1428هـ – 2007م.

7- الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة، السيد عبد الله شبر، مكتبة الالفين، الكويت، الطبعة الاولى، 1403هـ-1983م.

8 – البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1376هـ – 1957م.

9 – تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ) تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

10- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: 749هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1428هـ- 2008م.

11- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: 749هـ)، تحقيق، د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ-1992م.

12- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت: 1206هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ -1997م.

13- حياة الإمام الهادي(عليه السلام) (دراسة وتحقيق)، باقر شريف القرشي، تح، مهدي باقر القرشي، مؤسسة الإمام الحسن (عليه السلام) ودار المعروف – النجف، الطبعة العاشرة، 1434هـ – 2013م

14- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة (ت 1404 هـ)، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، د. ط.
15- دلالة تركيب الجمل عند الاصوليين، د. موسى بن مصطفى العبيدان، دار الاوائل، دمشق، ط، الاولى، 2002 م.
16- شرح أبيات سيبويه، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي(ت: 385هـ)، تح، الدكتور محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر، القاهرة، 1394هـ - 1974م.
17- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت: 900هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ- 1998مـ.
18- شرح الزيارة الجامعة، الشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي، دار المفيد، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، 1420هـ - 1999م.
19- شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: 672هـ)، تحقيق، عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، الطبعة الأولى.
20- شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت: 643هـ)، قَدَّمَ له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ -2001م.
21- الشموس الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة، السيد حسين الهمداني، الدرود آبادي، تحقيق وتعليق، محسن بيدارفر، انتشارات بيدار - قم، المطبعة، شريعت، قم، الطبعة الاولى، 1426هـ.
22- طهارة أهل البيت في آية التطهير: ميرزا محمد باقر الحائري الإسكوئي، تحقيق: صالح أحمد الدباب، دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الأُولى، 1430هـ - 2009م.
23- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو 395هـ)، تح، الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، 1412هـ.
24- فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت: 429هـ)، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م.
25 - في رحاب الزيارة الجامعة، السيد علي الحسيني الصدر، مؤسسة الرافد، قم، الطبعة الثالثة، 1431هـ-2010 م.
26- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: 180هـ)، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1988م
27- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.
28- اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، 1403هـ - 1983م.
29- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان عمر، عالم الكتب، الطبعة: الخامسة 1427هـ-2006م
28- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ)، تحقيق، فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت.
30- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الفرقان، الاردن، ط، الأُولى، 1405 هـ- 1985هـ.

31- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

32- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أَحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة، د. ط، ط. ت.

33- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (: 538هـ)، تحقيق، د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى، 1993م

34- من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: 381 هـ)، اشرف على تصحيحه وطبعه والتعليق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، الطبعة، الأُولى: 1406 هـ - 1986م.